

روح المعاني

العهد فعبدت من دون الله تعالى فأمر الله تعالى بتطهيره منها وقيل : المراد بخراه ونظفاه وخلقه وارفعاه عنه الفرج والدم الذي كان يطرح فيه وقيل : أخلصاه لمن ذكر بحيث لا يغشاه غيرهم فالتطهير عبارة عن لازمه ونقل عن السدي أن المراد به البناء والتأسيس على الطهارة والتوحيد وهو بعيد وتوجيه الأمر هنا إلى إبراهيم وإسماعيل لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بإبراهيم عليه السلام فإن ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى : وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت وكان إسماعيل حينئذ بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر أن هذا بعد بلوغه مبلغ الأمر والنهي وتمام البناء بمباشرة كما ينبئ عنه إirاده إثر حكاية جعله مثابة وإضافة البيت إلى ضمير الجلالة للتشريف كناية لا إنه مكان له تعالى عن ذلك علوا كبيرا للطائفين أي لأجلهم فاللام تعليلية وإن فسر التطهير بلازمه كانت ضلة له والطائفة اسم فاعل من طاف به إذا دار حوله والظاهر أن المراد كل من يطوف من حاضر أو باد وإليه ذهب عطاء وغيره وقال ابن جبير : المراد الغرباء الوافدون مكة حجابا وزوارا . والعاكفين وهم أهل البلد الحرام المقيمون عند ابن جبير وقال عطاء : هم الجالسون من غير طواف من بلدي وغريب وقال مجاهد : المجاورون له من الغرباء وقيل : هم المعتكفون فيه والركع السجود 521 وهم المصلون جمع راع وساجد وخص الركوع والسجود بالذكر من جميع أحوال المصلين لأنهما أقرب أحواله إليه تعالى وهما الركبان الأعظمان وكثيرا ما يكتفى عن الصلاة بهما ولذا ترك العطف بينهما ولم يعبر بالمصلين مع إختصاره إيذانا بأن الاعتبار صلاة ذات ركوع وسجود لا صلاة اليهود وقدم الركوع لتقدمه في الزمان وجمعا جمع تكسير لتغير هياة المفرد مع مقابلتهما ما قبلهما من جمعي السلامة وفي ذلك تنويع في الفصاحة وخالف بين وزني تكسيرهما للتنويع مع المخالفة في الهياة وكان آخرهما على فعول لأجل كونه فاصلة والفواصل قبل وبعد آخرها حرف قبله حرف مدولين وإذ قال إبراهيم رب أجعل هذا بلدا آمنا الإشارة إلى الوادي المذكور بقوله تعالى ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم أي أجعل هذا المكان القفر بلدا إلخ فالمدعو به البلدية مع الأمن وهذا بخلاف ما في سورة إبراهيم رب أجعل هذا البلد آمنا ولعل السؤال متكرر وما في تلك السورة كان بعد والأمن المسئول فيها إما هو الأول وأعاد سؤاله دون البلدية رغبة في إستمراره لأنه المقصد الأصلي أو لأن المعتاد في البلدية الإستمرار بعد التحقق بخلافه وإما غيره بأن يكون المسئول أولا مجرد الأمن المصحح للسكنى وثانيا الأمن المعهود ولك أن تجعل هذا البلد في تلك السورة إشارة إلى أمر مقدر في الذهن كما يدل عليه رب إني أسكنت إلخ فتطابق

الدعوتان حينئذ وإن جعلت الإشارة هنا إلى البلد تكون الدعوة بعد صيرورته بلدا والمطلوب كونه آمنا على طبق ما في السورة من غير تكلف إلا أنه يفيد المبالغة أي بلدا كاملا في الأمن كأنه قيل أجعله بلدا معلوم الإتصاف بالأمن مشهورا به كقولك كان هذا اليوم يوما حارا والوصف بآمن إما على معنى النسب أي ذا أمن على حد ما قيل : في عيشة راضية وإما على الإتساع والإسناد المجازي والأصل آمنا أهله فأسند ما للحال للمحل لأن الأمن والخوف من صفات ذوي الإدراك وهل الدعاء بأن يجعله آمنا من الجبابة والمتغلبين أو من أن يعود حرمة حللا أو من أن يخلو من أهله أو من الخسف والقذف أو من القحط والجذب أو من دخول الدجال أو من دخول أصحاب الفيل أقوال والواقع يرد بعضها فإن الجبابة دخلته وقتلوا فيه كعمرو بن لحي الحرهمي والحجاج القفي والقرامطة وغيرهم وكون البعض لم يدخله للتخريب بل كان